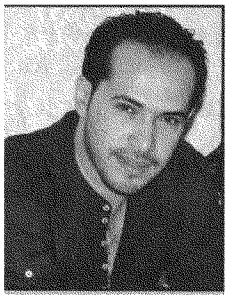

المغيرة الهويدي
وُلد عام ١٩٧٩. ماجستير في النقد العربيّ الحديث. كاتب وشاعر سوريّ من محافظة الرقّة. مقيم في الكويت. يعمل مدرّسًا للغة العربيّة.

هو الحب إذًا

. المغيرة الهويدي .

هو الحبُّ إذًا
يجيء أخيرًا كما توقّعتُ؛ ومن دون انتظارٍ طويلٍ ليديكِ، ومن دون أن يتعبَني في البحث عنك بين وجوه النساء العابرات.
يجيء محمّلاً بكلّ ما يتمنّاه رجلٌ عاش عمره منتظرًا سواكِ، وراح يوزّع ما تيسّر من رماده على كلّ وجهٍ جميل لتورقَ به الحياة.
يجيء أخيرًا: جميلاً / شهيّاً / لذيذًا / مبهمًا / خفيًّا / واضحًا
ومن دون أن ينتظرَ مني اعترافًا به.

...

هو الحبّ إذًا،
مَنْ كان يصدّق أنني أخيرًا وقعتُ في الحبّ، واقفًا كرمحٍ رديْنيّ؟
مَنْ كان يصدّق أنّ الأقدارَ تنسى أحياناً لعنتَها في غمرةِ انشغالها بالتخطيط للعنةٍ أخرى؟
مَنْ كان يصدّق أنني سأعترفُ لأوّل مرّة، ومن دون أن يخالجني الشكّ، أو أن ينتظر إجابتي عن سؤاله: هل تحبّ يا ولد؟ نعم، أحبّ! ومَنْ أُحِبُّ جاءت أخيرًا دون انتظار، محمّلةً بوهم تحقّق الأمنيات.

...

هو الحبُّ إذًا،
يقودني إلى بابكِ في ساعةٍ متأخّرةٍ من الشبابِ الجميل لأطرقَه بكلّ القوّة في الدنيا، ويكون انتظاري الأوّل، وجعي حتّى تفتحي الباب؛ دقيقة؟ دقيقتين كان انتظاري؟ ليس مهمًّا! أطرقه بكلّ القوّةِ يا حبيبة، بقوّةِ آدَم الملعون في كُتب السموات حين استسلمَ بملء إرادته للخطيئة.
الآن، فقط، آمنتُ أننا، نحن البشَر، أنصافُ آلهةٍ بما نملك، وآلهةٌ بما لا نملك. وها أنا ذا أصير إلهًا حينًا من الزمن بما لا أملك، وأرتدُّ نصفَ إلهٍ بما امتلكتُ، وبما يكفي لأن أبدأ في الانتظار من جديد.

...

أيّ شقاءٍ هو الحبُّ؟
دعيني أحدّثكِ عن شقائه: ذلك الذي يبدو أوّل وهلةٍ دمعًا نازفًا على وسادةٍ خاليةٍ، أو إبرًا مالحة تجري مجرى الدم؛ ذاك الذي يجعلك تنهض من نومكَ، فتبكي كما لم تبكِ من قبل، ثم تنام من جديد؛
تستيقظُ وبك ألفُ قرار، ولا تدري كيف ضاعت منك أهمُّها وأنت تسير في آخر النّهار

لتبـدأ من جديـدٍ انهيارَكَ مع أغنيـةٍ كان يمْكـن أن نستمعَ إليها معًـا، لضحكـةٍ تحت نافذتـي كان يمْكن أن تكـون ضحكتي وأنتِ تحدّثينني علـى الهاتف، لنقرِ أصابعي التي تحبّين على الكيبورد لأكتبَ لكِ ما قد يقال ولا يقال.

...

أيّ شقاءٍ هو الحبُّ؟

شقاءٌ مرٌّ وجميلٌ، يشبه ما تجودُ به كلماتُ المراهقة على شفاهٍ لا تعرف معنى أن يكون شقاءُ الحبّ مرًّا وجميلاً.

شقـاء الحبّ حين تصـدّق أنّ الموت لن يقدر عليـكَ، ويجيء ما يكذّب حسن ظنّك بالحياة.

شقـاء الحـبّ حين تصـدّق أنّ للمراهقـة عودتَها الجميلـة، وأنّ زمـنَ الورود الملقاة خلف سياجٍ لـم ينتهِ، وأنّ وردتك الّتي ألقيتْ مازالت عالقةً بيدك، وأنّ السياج محضُ خيال.

شقاء الحبّ حينما تستيقظ ليلاً، لتتحسّس مساحتَها في سريرك.

تقتربُ أكثر، لتشمَّ رائحةَ النوم في ثيابها فتهدأ، قبل أن تكتشفَ أنّ السرير وحيدٌ بكَ، فتبكي، ثَم تعودُ إلى النوم.

شقاء الحبّ حينما تبدأ بالتصديق!

وتصدّق.

وتصدّق..

وتوغل في التصديق حدَّ إيمانك بسخف القول: «البعيد عن العين بعيـدٌ عن القلب،» وحـدَّ تسخيف كلّ احتمال فَقْـدٍ، وتصدّق أنّك قاب قوسين أو أدنى من عصرها بين يديكَ.

...

هو الحبُّ إذًا، فيضٌ فراتيٌّ.

هل رأيتِ يومًا نهرًا يفيض؟ يقتلعُ جسرًا يصلُ بين ضفّتيه، يعبث بالأخضـر حـول خاصرتيْه، يمـزّقُ وجهَ الأمن في عيـون بسطاءِ القرية؟ هل رأيت الفرات؟

لـو تعلمين كـم أشبهُ الفـراتَ، حينمـا يستبدُّ بي الحـبُّ فتضيق بنزقـي تفاصيلُ الحيـاة الهادئة، فأعْبرها بـكلّ الجنون الجدير بنهرٍ موغلٍ في الأصالة أن يفعل.

ما كان الفراتُ فراتًا لو نزعتْ منه يدُ القدر هذا النّزقَ، الجنونَ، الهبلَ، الطغيانَ حدّ التّشبّه بالآلهة.

ولا قرابيـن سوى ما يتمنّـاه ولا يأتي. ولا قرابين حتّى يهدأ مرتدًّا بكلّ الخيبـة إلى سريره هو الآخر، معتذرًا عن سوء نزقٍ، ينحسرُ بكلّ الوجع في الدنيا،

ينحسرُ عن كلّ فيضٍ ممكنٍ بعد ذلك.

...

هو الحبُّ إذًا،

خيـولٌ بريّـةٌ تعبرُ وجه الفرات، ثم توغل في سهـولٍ مشمسةٍ غيرَ آبهةٍ بالمدى. تقف حيث تريد، وتعدو حيث تريد،

وبخيبة المسافات ترحلُ في الضياع.

تتروّضُ أخيرًا من وجعٍ لا يهدأ، وتنسى (أو ربما تنسى) جموحَها الأوّل، وتستسلمُ هي الأخرى لنصف إلهٍ وعربة.

...

هو الحبُّ أخيرًا،

ينهـركَ، يمسـكك من ياقـة قميصـكَ، يرفض وجعـكَ، يرحلُ، تلحقه، تركضُ، تسقطُ، تنهض، تلتقط أنفاسَـك، تركضُ مرّةً ثانيـة، تتعب.. يرحل. تعودُ منكسـرًا إلى حظيرة وحدتك، حزينًا حينًـا، غاضبًا حينًا، منتظرًا عدمَ إيابه، مُستفزًّا. وعبثًا تجدُ في مفرداتك ما يساعدُك على صياغة «ربّما سيعود.»

هـو الحـبّ يغادرك كما تفعـلُ كلُّ الأشيـاء الجميلـة، واللحظات المجنونة، والكلمات الرائعة.

تقـف من جديدٍ، ترتدُّ إلى نفسك بـكلّ غرورٍ وانكسار. تردّدُ على مسمـع القادم من عمـرِك: لن تنتهـيَ الدنيا، ولن تنسـدَّ أبوابُ السمـاء. وكذئـبٍ جريح تنزوي فـي عمق العتمـة، تلعقُ جرحَك، تستذكرُ أنّك قادرٌ على فعل الحياة.

وتمضـي تُعدّد لنفسك وجوهَ النساء. تُراجعُ لؤمَك، حدسَك الذي لـم يخبْ إلا مرّة واحدة. وتمضي إلى الحياة من جديد، ولا شيءَ فيك يوحي بانكسـارٍ شهيّ، حلو الوصال، حديـث، أغنية، دفء، قسوة.

وتمضي، تعتذرُ من حلمك إذ ترى فيه والدك يرقصُ فرحًا لطفله الذي أمسى عاشقًا كالدنيا. تعتذر من دعاءِ أمّك الذي لم تسمعْه السمـاء.. تبتسـمُ في وجههـا كي لا يشيـخَ هو الآخـر أكثر أمام انكسارك.

وتمضي إلى بابها مرّةً أخـرى، بضعفِ البشر، باحتمال الموت، باحتمالِ الفقـد، باحتمـال الغيـاب، باحتمـال الملـل القبيح، باحتمال الخيانـات الممكنة، باحتمال «البعيـد عن العين بعيد عـن القلب،» باحتمـال ألا تساعدك يدُك على طـرق البابِ مرّةً واحدةً فقط.

تمضي إلـى بابها المفتوح مصادفةً. تتـركُ حقيبةَ أمنياتك عند عتبتها، تغلق البابَ بهدوءٍ كي لا تقضَّ مضجع الفرح أكثر

و

ت

ر

ح

ل

...

هو الحبّ إذًا

أن

ت

ر

ح

ل